

الأغراض البلاغية للنداء في القرآن الكريم

م.م سهيلة خطاف عبد الكريم
جامعة كربلاء / كلية القانون

المقدمة :

الحمد لله حمدا لا يساويه حمد ، حمدا لا تدركه الأمانى ولا تستوعبه الأوانى ، حمدا يليق بكل بسملاته ومعجماته ومحكماته ومتشابهاته ومعوذاته • والثناء على الله الذي يهدي لنوره من يشاء الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، والثناء على الله الذي نفخ من روحه في الحجارة وجعل من الطين وعاء لرحمته وشرف علمه • والذي جعل حروف ذكره سيوفا حية قاطعة تقتل كل شكوك الكافرين ، ودروعا صلبة تقي صدور المؤمنين • لقد أراد الله أن تكون لغة العرب دائمة الحياة بعيدة عن الضياع تعلق في مجدها كل معالي اللغات • فمن طاف فوق سطوح البحور حتى ينضب ماؤها فلن يجد فنا أجل من النداء فهو فن من فنون الإبداع في الفهم والتخاطب وقد شرف الله النداء عندما جعله واسطة بينه وبين أنبيائه ورسله وعباده الصالحين • فالوحي هو أعلى مراتب النداء ، قال رب العزة : [فَدَلَاهُمَا يُغْرَوْنَ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْحَرنِي قَدْ جَعَلْتُ رَبُّكَ تَحْتَكِ سَرِيًّا] {مريم: ٢٤} ، [وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا] {مريم: ٥٢} وقال : [وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ] {الصافات: ١٠٤} ، وقال : [فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى] {طه: ١١} ، وبالنداء نصر الله رسله وشد أزهرهم لنشر الدين وإذكاء روح الفضيلة ، قال جل شأنه : [وَقُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ] {الأنبياء: ٦٩} ، وقال : [وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوْبِيَ مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلْنَاهُ لَكَ الْحَدِيدَ] {سبا: ١٠} وبه ردع الله الطغاة والجبابرة ، قال تعالى : [قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ] {ص: ٧٥} • فالنداء قديم أزلي ابتدأ بنداء آدم (عليه السلام) أول البشرية قال تعالى : [وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ] {البقرة: ٣٥} ، واستمر مع كافة الرسل والأديان ، ولجلالة قدر النداء وأهميته لا ينتهي بانتهاء الحياة فيوم الحساب هو يوم التناد ، قال تعالى : [وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ] {غافر: ٣٢} ، ويستمر النداء ففي الحياة الآخرة يتنادى أصحاب الجنة وأصحاب النار ، قال تعالى : [وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذْنُ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ] {الأعراف: ٤٤} ، وقال : [وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ] {الأعراف: ٥٠} هذه أهمية النداء في الذكر الحكيم، أما أهمية دراسة دلالاته فتتبع هذه الأهمية من أن الموضوع لم يدرس على وفق القاعدة المنهجية التي لا تتعدى قواعد الصناعة النحوية التي تقسمه إلى حرف النداء ، والمنادى ، وتابع المنادى وألفاظ لازمت النداء وما إلى ذلك من نظر يلحظ القواعد ويتجنب أو ينسى الدلالة بينما حرصت على أن يصبح مراد الدرس النحوي القرآني كشف الدلالة وتوخي معاني النص ، لذلك فإن دراسة النداء على وفق منهج يكشف عن دلالاته تقتضي كشف معاني النحو وعلاقاته في النص وهو لا يقتصر على التقسيم التعليمي لهذا النص – حرف النداء والمنادى وتابع المنادى – وإنما يستوفي النظم والتأليف ولا يقف إلا عند تمام المعنى والدلالة وربما استوجب اتصال المعنى والاتساع في النظم كشف معاني النحو وعلاقاته في جملة تابعة لجملة النداء في مفهومها التعليمي، من هنا اخترت موضوعي هذا ((الأغراض البلاغية للنداء في القرآن الكريم)) وقد قسمته على مبحثين تسبقهما مقدمة والتمهيد :-

الأول : وضحت فيه أن الأداة (يا) وحدها المستعملة في التعبير القرآني ، ولقد بينت كيف أن القرآن قد تقنن في استعمالها على مختلف الأوجه (إثباتا وحذفا) ، وقد بينت في هذا المبحث أيضا مواطن تكرار النداء وقد أوضحت فيه أهمية تكرار النداء في القرآن أو سر الإعجاز القرآني فيه •

الثاني : فكان في الغرض الأساسي من هذا البحث ألا وهو الأغراض البلاغية للنداء في القرآن الكريم • وقد اعتمدت في دراستي على التفاسير القرآنية كمادة أساسية للبحث ، ثم على أمهات كتب النحو ، ك (الكتاب لسبويه ويسمى : قرآن النحو وألفية ابن مالك وشروحا كشرح ابن عقيل لها • وكتاب الامالي لابن الشجري وكتاب رصف المباني في حروف المعاني للمالقي وكتاب الكشف للزمخشري وكتاب معاني النحو للدكتور فاضل صالح السامرائي ، مع كتب البلاغة وغيرها من أمهات الكتب في النحو والبلاغة وكذلك افادني كثيرا اطلاعي على رسالة ماجستير للسيد حسين علي هادي بعنوان دلالة النداء في القرآن الكريم •

التمهيد

النداء لغة: أن تدعو غيرك ليقبل عليك واشتقاقه من ندى الصوت وهو بعده ، يقال : إن فلانا أُنْدى صوتا من فلان إذا كان أبعد صوتا منه ^(١) . وفي الاصطلاح : طلب الإقبال أو تنبيه المنادى وحمله على الالتفات بإحدى حروف النداء أو أنه ذكر اسم المدعو بعد حرف من حروف النداء • فلو قلت أقبل علي ، أو : أدعوك قاصدا الإنشاء كان ذلك لغة لا اصطلاحا ولو قلت : يا زيد كان ذلك نداء لغة واصطلاحا •

وحروف النداء : (يا ، وايا ، وهيا ، وآ ، واي ، والهمزة) وذلك نحو قوله تعالى : [يَا أَدَمُ أَنْبِئُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ] {البقرة: ٣٣} ، وقول الشاعر :

أيا شجر الخابور مالك مورقا كأنك لم تحزن على ابن طريف

وقوله :

أفاطم مهلا بعض هذا التدلل وان كنت قد أزمعت صرمي فأجملي

وأشهرهن (يا) ولم يرد من حروف النداء في القرآن الكريم غيرها . وأما ، أيا وهيا ، فهما ليسا إلا (يا) مسبوقه بالهمزة أو بالهاء . وقد ذهب قسم من النحاة إلى أن ماعدا الهمزة من أحرف النداء ، وهي (يا ، وأيا ، وهيا ، وآ ، وأي) تكون لنداء البعيد ، أو من هو بمنزلة ، وأما الهمزة فللقريب . جاء في (الكتاب) : (إلا أن الأربعة غير الألف ^(١)) ، قد يستعملونها إذا أرادوا أن يمدوا أصواتهم للشيء المترخي عنهم ، أو للإنسان المعرض عنهم ، الذي يرون أنه لا يقبل عليهم إلا باجتهاد أو النائم المستقل . وقد يستعملون هذه التي للمد في موضع الألف ، ولا يستعملون الألف في هذه المواضع التي يمدون فيها ^(٢)) وذهب آخرون إلى أن (يا ، وأيا ، وهيا) للبعد ومن هو بمنزلة ، و(أي) والهمزة للقريب ^(٣)) ، وقيل إن (أيا وهيا) للبعد و(أي) والهمزة للقريب ، و(يا) لهما ، وقيل إن (أي) للمتوسط ^(٤)) . والحق أن (أي) لا تكون للبعد ، لأن البعيد يحتاج إلى مد الصوت لندائه و(أي) ليس فيها مد بخلاف (يا) واخواتها .

- ١- شرح الاشموني على الفية ابن مالك : ١٣٥/٢ .
- ٢- لم يذكر (سيبويه) الألف الممدودة (آ) وقد ذكرها ابن مالك – ينظر : شرح ابن عقيل : ٧١/٢ .
- ٣- كتاب سيبويه : ٣٢٥/١ ، وينظر شرح ابن عقيل : ٧١/٢ .
- ٤- المفصل : ٢٠٢/٢ .
- ٥- شرح الاشموني : ١٣٤/٣ .

جاء في (شرح ابن يعيش) : (وأي والهمزة تستعملان إذا كان صاحبك قريباً ، وإنما كان كذلك من قبل أن البعيد والمترخي والنائم والمستقل والساهي يفتقر في دعائهم إلى رفع صوت ومدّه ، وهذه الأحرف الثلاثة التي هي (يا) و(أيا) و(هيا) أوآخرهن ألفات والألف ملازمة للمد ، فاستعملت في دعائهم لإمكان امتداد الصوت ورفعها ، وليست الياء هنا في (أي) كذلك ، لأنها ليست مدة ، والهمزة ليست من حروف المد ، فاستعملت للقريب ^(١)) .

وقد ينادي القريب بما هو للبعد ، كقولك (يا أخي) مع أنه قريب منك قال تعالى : [قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ] {يوسف: ١١} ، وقال : [يَا صَاحِبِي السَّجْنِ] {يوسف: ٣٩} .

- ١- شرح ابن يعيش : ١١١ / ٨ .

المبحث الأول

أدوات النداء في القرآن الكريم :

معاني أدوات النداء في اللغة والقرآن الكريم :

نلاحظ إذا تابعنا سيرنا مع النداء في القرآن الكريم أن الأداة (يا) وحدها المستعملة في التعبير القرآني كونها أم الباب كما يقول النحاة ، فهي التي ينادى بها القريب ، والوسط ، والبعيد . كما يستغاث بها وحدها ، ولا يستعمل غيرها في نداء الله عز وجل ، فنقول : يا الله ، يارب ، ياربنا . وتقرن (يا) كذلك في نداء أسماء الموصولات وأسماء الإشارة والضمائر . لذلك استعملها الأسلوب القرآني من دون سائر أخواتها . فأثبتها في معظم آيات النداء . وحذفها في بعضها . وهي قوية في الحالتين : في أثباتها وحذفها . وإذا ما حذفنا أداة النداء فلا تقدر ألا هي ، فالأدوات الباقية تبع لها وتحمل جزءاً من وظيفتها فننادي بها إما القريب وإما البعيد . ولقد تفنن القرآن الكريم في استخدام (يا) على مختلف الأوجه : أثباتاً وحذفاً .

قال ابن برهان العكبري في شرح اللمع : (يجوز حذف حرف النداء مع الاسم العلم ، لأن البيان فيه يكون به علماً مع الإقبال عليه فقد يستغني به عن حرف النداء ، قال الله تعالى : [رَبَّنَا وَأَنْتَا مَا وَعَدْتَنَا] {عمران: ١٩٤} ، [رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّنَّ كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ] {إبراهيم: ٣٦} ، وذكر الزمخشري :

جواز حذف حرف النداء ولم يتطرق إلى سبب الحذف ^(١) ، ومن الذين عللوا سبب الحذف أبو الحسن الوراق قال : (ويجوز أن يكون الحذف كثيراً في القرآن لأن الله تعالى قريب ممن يدعوهم فهذا حذف حرف النداء ^(٢)) ، وقال الشيخ الطوسي : (إنما حذف حرف النداء ، لما كان أصله تنبيه المنادي ليقبل عليك وكان الله عز وجل لا يغيب عنه شيء – تعالى عن ذلك – سقط حرف النداء للاستغناء ^(٣)) ، وحكمة الحذف من نحو ما يرى الزركشي (ت ٧٩٤ هـ) الدلالة على التعظيم والتنزيه ، لأن النداء يتشرب معنى الأمر ، لأنك إذا قلت ، يا زيد ، فمعناه أدعوك يا زيد ، فحذفت (يا) من نداء الرب ، ليزول معنى الأمر ، ويتمحض التعظيم والإجلال ^(٤) .

- ١- شرح اللمع : ٤٢٧ ، ٤٢٨ .
- ٢- ينظر : المفصل في علم العربية : ٤٤ .
- ٣- علل النحو : ٤٧٨ .

٤- التبيان في تفسير القرآن : ١٧١/٢ .

يجوز حذف حرف النداء ، نحو قوله تعالى (**يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا**) {يوسف:٢٩} وقوله : [**اعْمَلُوا أَلْ دَاوُودَ شُكْرًا**] {سبأ:١٣} ، ويلزم ذكر حرف النداء مع (الله) ومع اسم الجنس ، سواء كان نكرة مقصودة ، أم غير مقصودة ، واسم الإشارة ، فإذا ناديت (الله) قلت : يا الله ، وكذا اسم الجنس ، واسم الإشارة نحو (يارجل) ، و(يا هذا) وليس لك أن تحذف حرف النداء ، وشذ (أصبح ليل) أي يا ليل و(افتد مخنوق) أي يا مخنوق و(أطرق كرا) أي يا كروان ، ويلزم ذكر الحرف في الاستغاثة ، والتعجب ، والندبة^(١) نحو يا لخالد ، ويا للهول ، ووامحمداه . ويبدو أن للحذف أغراضا ، وخصوصا في الكلام الفني ومن ذلك :

- ١ - الحذف للعجلة والإسراع بقصد الفراغ من الكلام بسرعة ، نحو قولك (خالدا احذر) ، وكقولك (احمد احمد انتبه) .
 - ٢ - وقد يكون الحذف للإيجاز ، وذلك لأن المقام قد يكون مقام إيجاز واختصار ، لامقام تبسط وإطالة ، وذلك نحو قوله تعالى في سورة الأعراف [**قَالَ ابْنُ أَمِّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي وَكَادُوا يَقْتُلُونِي**] {الأعراف:١٥٠} فحذف حرف النداء (يا) من المنادى (ابن أم) في حين قال في سورة طه : [**قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي**] {طه:٩٤} بذكر (يا) ، والسبب والله أعلم ، أن السياق في سورة الأعراف سياق إيجاز واختصار ، بخلاف آيات طه ، واليك كلا من السياقين^(٢) :
- قال تعالى في سورة الأعراف : [**وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاخَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنُ أَمِّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي وَكَادُوا يَقْتُلُونِي فَلَا تَشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**] {الأعراف:١٥١}
- وقال في سورة طه : (**فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلَكِنَا وَلَكِنَّا حَمَلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ**] {طه: ٨٦، ٨٧} .

(١) ينظر : شرح الرضي على الكافية : ١٧٢/١ ، شرح الاشموني : ١٣٥/٣ .

(٢) معاني النحو ، فاضل صالح السامرائي : ٢٧٧/٤ .

ثم ذكر موقف هارون : [**وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي**] {طه:٩٠} ثم توجه باللوم إلى هارون : [**قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي**] {طه: ٩٢ - ٩٣} .

فأجابه هارون : [**قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي**] {طه:٩٤} ويستمر الكلام .

فالكلام في سورة الأعراف كان مختصرا موجزا ، وكان الموقف موقف عجلة وإسراع ولا نقول موقف تسرع ، فقد جاء موسى غضبان أسفا ، وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه من دون سؤال ، أو استفهام فحذف (يا) النداء تمشيا مع هذا الحذف والاختصار . وأما في سورة طه ، فالسياق سياق إطالة^(١) ، وسؤال ، وأخذ ورد ، ولوم ، فجاء بـ (يا) وكأن هارون في الآية الأولى أراد الإسراع في تبیین الأمر لموسى ، إذ لامجال للإطالة وقد أخذ موسى برأسه يجره إليه ، فحذف (يا) حتى أن القرآن لم يذكر هنا قول هارون (لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي) تمشيا مع الإيجاز في الكلام ، وهو المناسب لموقف العجلة التي اتسم بها السياق . وأما في آيات طه فالسياق سياق إطالة وتبسط في الكلام ، فقد جاء موسى غضبان أسفا وسأل قومه موبخا لهم على فعلتهم قائلا : [**يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا**] {طه:٨٦} .

فأجابه قائلين : [**مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلَكِنَا وَلَكِنَّا حَمَلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا**] {طه:٨٧} . ثم ذكر موقف هارون منهم ، فقال : [**وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ**] {طه:٩٠} . وجواب قومه له : [**قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى**] {طه:٩١} ثم توجه بالسؤال واللوم إلى هارون : [**قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا**] {طه:٩٢} فأجابه هارون موضحا له الأمر : [**قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي**] {طه:٩٤} فجاء بـ (يا) متوددا محاولا كسر حدة غضبه . فحذف (يا) من آية الأعراف وهو المناسب لسياق الإيجاز والعجلة ، وذكرها في سورة طه هو المناسب لسياق التبسط في الكلام والايضاح والتبيين . ويرى الباحث أن القرآن قد رسم لنا صورة تدل على أحد أسباب حذف الحرف . فقد أجمع المفسرون على أن موسى قد أخذ برأس أخيه ولحيته ولم يكتف بذلك بل أخذ برأس أخيه يجره إليه فصار سيدنا هارون ملاصقا له ، وفي هذه الحالة لا يحتاج سيدنا هارون إلى ذكر حرف النداء لأن المنادى إذا كان في غاية القرب حسا أو حكما ، فلا حاجة معه إلى ذكر الحرف ، وإن بعد قليلا منه فله الهزمة لأنه ليس فيها مد صوت ، وإن كان أبعد منه قليلا فله (أي)^(٢) ، والحوار الذي دار بين موسى وهارون (عليهما السلام) كان بين شخصين متلاصقين ، فمن التعسف أن يذكر حرف النداء في هذا الموضع .

١- معاني النحو ، فاضل صالح السامرائي : ٢٧٧/٤ .

٢- ينظر : الفاخر في شرح جمل عبد القاهر ، للبعلي : ٥١٤/٢ .

ومن الحذف للاختصار قوله تعالى : {يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكَ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ} {يوسف: ٢٩} فقد أرادوا ستر المسألة والكف عن الخوض فيها ، فقالوا ذلك بأخصر طريق ، حتى انهم لم يذكروا حرف النداء ، فحذف حرف النداء ، تمشيا مع هذا الاختصار والتستر .

٣- قد يكون الحذف لقرب المنادى من المنادي ، سواء كان القرب حقيقيا ماديا^(١) ، أم معنويا فكان المنادى لقربه لاحتياج إلى واسطة لندائه ، ولو كان حرف نداء كأن تقول لمن تناديه وهو قريب منك : (خالدة أتدري ماذا حل بفلان ؟) ونحو قوله تعالى : [رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ] {هود: ٧٣} وقوله : [إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا] {الأحزاب: ٣٣} ، وقوله [اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ] {سبأ: ١٣} فهذا للقرب المعنوي ، بخلاف قوله تعالى : [يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ] {آل عمران: ٦٥} .

٤ - قد يكون ذكر (يا) للزيادة في التنبيه وللزيادة في التقريب^(٢) وذلك نحو قوله تعالى : [قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ] {الأعراف: ١٥٨} وقوله : [يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ] {البقرة: ١} وقوله : [يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبٌ مِّثْلُ مَا سَمِعْتُمْ لَهْ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذَبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْنَاهُمُ الذَّبَابَ شَيْئًا لَا يَسْتَنْفِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ] {الحج: ٧٣} وقوله : [يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّبَكَ رَبِّكَ الْكَرِيمَ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ] {الانفطار: ٧٦} بخلاف قوله تعالى : [إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا] {النساء: ١٣٣} ففي الآيات الأولى من الزيادة في التنبيه ومد الصوت للإسماع ما ليس في الأخيرة وهو واضح . وأيضاً ورد ذكر حرف النداء (يا) في نداء الرب في قوله تعالى : [وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا] {الفرقان: ٣٠} ، وقوله : [وَقِيلَ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ] {الزخرف: ٨٨} ، وعلل الدكتور عبد الفتاح لاشين ذكر الحرف في قوله : [وَقِيلَ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ] {الزخرف: ٨٨}

١- معاني النحو ، فاضل السامرائي : ٢٧٨/٤ .

٢- المصدر نفسه .

قال : (وألمح في المجيء بحرف النداء هنا خاصة تعبيراً عن حالة نفسية آلمت بالرسول وقد أفرغ جهده في دعوة قومه وإنذارهم ، فلم يزددهم ذلك إلا تمادياً في كفرهم ، فأطبق لهم على فؤاده ، وكأنما شعر بتخلي الرب عن نصرته وبعده عن أن يمد إليه يد المساعدة فأتى بحرف النداء ، كأنما يريد أن يرتفع صوته زيادة في الضراعة إلى الله واستجلاب رضاه)^(١) ، ويرى الدكتور بسيوني عبد الفتاح أن في ذكر الحرف امتداداً للصوت عند النطق به ، وكان الرسول وجد فيه متنفساً لآلامه وأحزانه^(٢) . ويرى الباحث أن ذكر الحرف في هاتين الآيتين لم يقصد به الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) طلباً يتوجه به إلى الله بل قصد الإخبار فقط وبما أن الله يعلم مسبقاً بما أخبره به فيكون هذا الإخبار عما في نفس الرسول الكريم لا عن شيء يريد إيصاله إلى الله سبحانه فلما انتقى الطلب وانتقى التنبيه لم يبق ألا التنفيس عن الألم وهو ما يحتاج إلى صوت ممدود يفرغ به المتكلم ما يحسه من ضيق في صدره والغرض نفسي في المقام الأول .

١- المعاني في ضوء أساليب القرآن : ١٩٠ .

٢- ينظر : من بلاغة النظم القرآني : ٢٣٦ ، وينظر : علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني : ٣٣٠ .

تكرار النداء في القرآن :-

يتكرر النداء في كتاب الله العزيز في مواطن ويأتي تكرار النداء لأمر عظيم في الأعم الأغلب ، ففي قوله تعالى : [قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ] {المائدة: ١١٤} ، ففي قوله (اللهم ربنا) (اللهم) نداء أول و (ربنا) نداء ثان^(١) ولا يجيز سيبويه غيره^(٢) ، ولا يجوز أن يكون نعتاً ، لأنه أشبه الأصوات من أجل مالهقه^(٣) ، فنادى عيسى (عليه السلام) ربه مرتين ، (مرة بوصف الإلهية الجامعة لجميع الكمالات ، ومرة بوصف الربوبية المنبئة عن التربية ، وإظهاراً لغاية التضرع ومبالغة الاستدعاء)^(٤) ، والذي دعا عيسى (عليه السلام) إلى نداء الله جل وعلا مرتين بسبب ماسبقه من تحد من قومه^(٥) حيث قالوا له : [هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ] {المائدة: ١١٢} ، (ويستطيع بالياء مسنداً إلى الرب وبالتاء الفوقانية مسنداً إلى عيسى (عليه السلام) ونصب الرب ، ومعناهما واحد يرجع إلى التهيج والإلهاب بسبب الاجتهاد في الدعاء بحيث تحصل الإجابة)^(٦) ، فقد طلب الحواريون من عيسى (عليه السلام) تنزيل مائدة من السماء ، أي طلبوا مائدة مادية ليأكلوا منها^(٧) ف (اللهم) نداء لله تعالى ولا يذكر معه (يا) قال تعالى [قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ] {آل عمران: ٢٦} وعند البصريين أن أصله (ياالله) ، والميم بدل من (يا) بدليل أنك لو أسقطت الميم لوجب ذكر (يا) فتقول : ياالله .

١- ينظر : إعراب القرآن للنحاس : ٥٣٠/١ ، وينظر : الكشف ٧٥/٢ ، والمحرم الوجيز : ١٠٧/٥ ، والجامع لإحكام القرآن : ٣٢٠/٤ .

- ٢- ينظر : كتاب سيبويه : ١٩٦/٢ .
- ٣- الجامع لإحكام القرآن : ٣٢٠/٤ ، وينظر : المحرر الوجيز : ١٠٧/٥ .
- ٤- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ٣٤٠/٢ ، وينظر : الجامع لإحكام القرآن : ٣٢٠/٤ ، وروح المعاني : ٥٨/٤ .
- ٥- ينظر : الكشاف ٧٤/٢ ، ٧٥ .
- ٦- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور : ٥٧٠/٢ .
- ٧- ينظر : الكتاب والقرآن ، محمد شحرور : ٧٢ .

وعند الكوفيين أن الميم مقتطعة من جملة (أنا بخير) ^(١) .
وقد دلت الدراسات الحديثة على أن أصلها عبري ، هو (ألهيم) ، ومعناها (الآلهة) وهم يريدون به الواحد وإنما جمعه للتعظيم .
(وقد تخرج (الله) عن النداء فيستعمل في وجهين آخرين :
أحدهما : أن يذكرها المجيب تمكينا للجواب في نفس السامع ، يقول لك (أزيد قائم ؟) فتقول : (الله نعم) ، أو (الله لا) .
الثاني : أن تستعمل دليلا على الندرة ، وقلة وقوع المذكور كقولك : (أنا لا أزورك اللهم إلا أن تدعوني) ألا ترى أن وقوع الزيادة مقرونة بتقديم الدعاء قليل ؟ ^(٢) .
والظاهر في هذا ونحوه أن أصله نداء ثم انمحي عنه معنى النداء ، وذلك أن قولك لمن قال لك (أزيد قائم ؟) : (الله نعم) هو إشهاد الله على جوابك فكأنك قلت : يا الله اشهد على ما أقول . وهذا الإشهاد تمكين للجواب في نفس السامع ، وكذلك ما بعده وهو كونها دليلا على الندرة نحو قولك : (أنا لا أزورك اللهم إلا أن تزورني) فهذا إشهاد الله على قولك كالأولى ، وأما الندرة فهي مفهوم من العبارة ، ولو لم تذكر (الله) والمعنى على النداء ، ويدل على ذلك أننا في الداريجة نستعمل (يارب) في نحو هذا فنقول مثلا (أنا لا أذهب إليه يارب إلا إذا جاء واعتذر إلي) وهذا نداء كما ترى غير أنه انمحي منه الإحساس بالنداء في التعبير .

- ١- ينظر : كتاب سيبويه : ٣١٠/١ ، وشرح الرضي على الكافية : ١٥٧/١ ، والهمع : ١٧٨/١ والتصريح : ١٧٢/٢ .
- ٢- التصريح : ١٧٢/٢ ، وينظر شرح الأشموني : ١٤٧/٣ .

وفي قوله تعالى : [يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُتُورَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعَ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ] {يوسف: ٤٦} ، يوسف منادى مفرد ^(١) ، والتقدير يايوسف ^(٢) ، وكذا الصديق ^(٣) يتوصل إلى نداء المعروف بـ (أل) بـ (أي) ويؤتى بالمنادى مرفوعا ، فيقال (ياأيها الرجل) قال تعالى : [يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ] {الأنفال: ٦٤} ، وقال : [قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ] {الكافرون: ١} ، فالصديق في الحقيقة هو المنادى وليس (أيا) وكذلك ما بعده وإنما جيء بـ (أي) توصلا لنداء مافيه (أل) .
وقد ذهب النحاة إلى أن معنى المنادى المعروف بـ (أل) والنكرة المقصودة واحد لأنهما معرفة فقولك (يارجل) كقولك (ياأيها الرجل) .
قال سيبويه : (إذا قال يارجل ، ويا فاسق ، فمعناه كمعنى ياأيها الفاسق ، وياأيها الرجل) ^(٤) والحقيقة أنه ليس معناه واحدا ، فإن المنادى في قولك (يارجل) نكرة في الأصل فقصدته بندا لك له ، وأما المعروف بـ (أل) فهو معرفة قبل قصده بالنداء ، فـ (أل) هذه قد تكون (أل) الجنسية ، أو العهدية ، فثمة فرق بين قولك (يا نبي) و (ياأيها النبي) و (يا صديق) و (ياأيها الصديق) و (يا ملك) و (ياأيها الملك) .
فـ (نبي) نكرة في الأصل ، ثم قصدته في النداء ، وكذلك (صديق) ، و (ملك) ، وأما (النبي) في (ياأيها النبي) فمعرفته وهو معين قبل ندائه فنادت هذه المعرفة .
ومن هذا الباب قوله تعالى : [يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ] {الحجر: ٦} فالذي نزل عليه الذكر معرفة قبل ندائه .
أن الفرق بين هذين المناديين ، كالفرق بين قولك (يارجل) ، و (يا خالد) ، فرجل نكرة قبل ندائه ، وقد قصدته بالنداء ، واما (خالد) فهو معرفة قبل ندائه ، فناديته .

- ١- الجامع لإحكام القرآن : ٥٨٠/٥ .
- ٢- معاني القرآن ، للنحاس : ٥٤٦/١ ، والجامع لإحكام القرآن : ٥٨٠/٥ ، وفتح القدير : ٣٧/٣ ، وروح المعاني : ٤٤٣/٦ .
- ٣- الجامع لإحكام القرآن : ٥٨٠/٥ ، وينظر : التفسير الكبير : ١٥٢/٩ .
- ٤- كتاب سيبويه : ٣١٠/١ .

وقد يؤتى بـ (أي) للتعظيم ، نحو : (ياأيها الملك) (ياأيها العزيز) بخلاف ما لو قلت (ياملك) (ياعزيز) فإنه ليس في هذا تعظيم . جاء في (تفسير الرازي) : (قول القائل (يارجل) يدل على النداء ، وقوله (ياأيها الرجل) يدل على ذلك أيضا ، وينبئ عن خطر خطب المنادى له ، أو غفلة المنادى) ^(١) . وقد يتوصل إلى نداء المعروف بـ (أل) باسم الإشارة أيضا ، نحو (يا هذا الرجل) و (يا هذه المرأة) فيكون في الرجل والمرأة الرفع فحسب . ويصح في نحو هذا أن تتادي اسم الإشارة ، وتجعل ما بعده تابعا له ، فيكون فيه الرفع والنصب . والخلاصة أن المعروف بـ (أل) إما أن يتوصل إلى ندائه بـ (أي) ، وإما أن يتوصل إلى ندائه باسم الإشارة ، فيقال (ياأيها الرجل) و (يا هذا الرجل) ويكون فيه الرفع فحسب في الحالتين . غير أنه يصح أن تتادي اسم

الإشارة مفرداً أو متبوعاً بتابع فتقول (يا هذا) و (يا هذا الرجل) و (يا هذه) و (يا هذه المرأة) و (يا هؤلاء) و (يا هؤلاء الرجال) فيكون مابعد تابعاً له فيه الرفع والنصب ^(١) ، في حين أنه لا يصح الاكتفاء بـ (أي) ، فلا يقال : (يا أي) ولا (يا أيها) . فقولك (يا أيها الرجل) هو نص في نداء الرجل ، وأما قولك (يا هذا الرجل) فهو يحتمل نداء اسم الإشارة .
ومن هنا يتضح أن الفرق بين نداء (أي) واسم الإشارة ، من أوجه أهمها ^(٢) :

- ١- أنه لا يجوز الاكتفاء بـ (أي) ، ويجوز الاكتفاء باسم الإشارة ، فلا تقول (يا أيها) ويصح إن تقول : (يا هذا) .
- ٢- إن قولك (يا أيها الرجل) هو نص في نداء الرجل ، وأما قولك (يا هذا الرجل) ففيه احتمالان : نداء اسم الإشارة ونداء المعروف بـ (ال) .
- ٣- أنه لا يجوز غير الرفع في تابع (أي) ويجوز الرفع والنصب في تابع اسم الإشارة .
- ٤- إن قولك (يا هذا الرجل) بنصب (الرجل) نص في نداء اسم الإشارة .
- ٥- إن في النداء بـ (أي) من التعظيم ما ليس في الإشارة ، ففي قولك (يا أيها الملك) من التعظيم ما ليس في قولك (يا هذا الملك) والله واعلم .

١- التفسير الكبير : ١٨٩ / ٢٥ .

٢- ينظر : كتاب سيبويه : ٣٠٦ / ١ ، ٣٠٧ ، وشرح ابن يعيش : ٢ / ٧ ، ٨ ، وشرح الأشموني : ١٥٠ / ٣ ، ١٥٣ .

٣- معاني النحو : ٢٨٣ / ٤ ، ٢٨٤ .

المبحث الثاني

((الأغراض البلاغية للنداء في القرآن الكريم))

إن القرآن الكريم وهو كتاب العربية الأكبر ، والمعجزة البيانية الخالدة ليتفنن في التوسع البليغ في استعمال النداء ، ليتحقق بذلك التوسع والتفنن أهدافه التي أنزلها الله تعالى من أجلها والتي تتلخص في هذه الآية : [تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ] لقمان: ٣ } .

١- التنبيه والإقبال الكلي لما وجه النداء من أجله :

- وهذا الغرض هو أهم الأغراض التي استعمل لها النداء في القرآن وأعمها وأوسعها تناولاً . والكثير من الآيات التي صدرت بالنداء تدعو إلى عبادة الله تعالى وتوحيده ، والإقبال على ما أمرت به الآيات التي صدرت بالنداء أو الانتهاء والكف عما نهت عنه ، وكلها قضايا جوهرية في هدف القرآن الأساسي وأغراضه الموضوعية .
- ١- ففي العبادة وهي أصل الدين : [يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ] البقرة: ٢١ } .
 - ٢- وفي الصلاة : [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ] الحج: ٧٧ } .
 - ٣- وفي تحريم الربا هو أم خبائث الكسب : [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ] البقرة: ٢٧٨ } .
 - ٤- وفي تحريم الخمر أم خبائث الأخلاق ومفاسد الأفعال : [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ] المائدة: ٩٠ } .
 - ٥- وفي التقوى منبع الخيرات : [يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ] النساء: ١ } .
- كذلك يتوجه بها الأمر للنبي لقوة المؤمنين : [يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ] الأحزاب: ١ } . ولهذا كان من الفقه البياني الرائع هذه الكلمة للصحابي الجليل عبدالله بن مسعود فقيه الرأي ومؤسس مدرسته في الكوفة : (إذا سمعت الله تعالى يقول [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا] البقرة: ١٠٤ } فارعها سمعك ، فانه خير يأمر به أو شر ينهى عنه) ^(١) .

١- جامع البيان ٤٥٩ / ٢ (دار المعارف) ، والكشاف ١٣٠ / ١ .

وقد كثرت آيات التنبيه في القرآن الكريم . فالآيات التي تنصدر بنداء الناس أو نداء المؤمنين كلها على سبيل التنبيه والإقبال الكلي فمن ذلك قوله تعالى : [يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّقُوا اللَّهَ] فاطر: ٣ } . قال ابن كثير : (ينبه تعالى عباده ويرشدهم إلى الاستدلال على توحيده في أفراد العبادة له انه المستقل بالخلق والرزق فكذلك فليفرّد بالعبادة ولا يشرك به غيره من الأصنام والأنداد والأوثان ولهذا قال تعالى : [لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّقُوا اللَّهَ] غافر: ٦٢ } أي فكيف تؤفكون بعد هذا البيان ووضوح هذا البرهان ، وانتم بعد هذا تعبدون الأنداد والأوثان ^(٢)) . ومنه قوله تعالى منادياً لتنبيه الناس إلى التقوى والعبادة :

[يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَاحْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ] لقمان: ٣٣ } .

قال ابن كثير : (يقول تعالى منذر للناس يوم المعاد ، وأمر لهم بتقواه والخوف منه والخشية من يوم القيامة حيث لا يجزي والد عن ولده أي لو أراد أن يعذبه بنفسه لما قبل منه ، وكذلك الولد لو أراد فداء والده بنفسه لم يقبل منه . ثم عاد بالوعظ عليهم بقوله : [فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا] لقمان: ٣٣ } أي لا تلهيكم بالطمأنينة فيها عن الدار الآخرة ولا يغرنكم بالله الغرور ، أي الشيطان) ^(٣) ومنه قوله تعالى : [يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ] فاطر: ١٥ } . فهذا تنبيه للناس بافتقارهم إليه تعالى ،

يقول ابن كثير : (يخبر تعالى بغنائه عما سواه وبافتقار المخلوقات كلها إليه وتذللها بين يديه فهم محتاجون إليه في جميع الحركات والسكنات وهو تعالى الغني عنهم بالذات ، ولهذا قال عز وجل : [وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ] (فاطر: ١٥) أي هو المنفرد بالغنى وحده لا شريك له وهو الحميد من جميع مايفعله ويقدره ويشعره (٣) .

- ١- تفسير القرآن العظيم ٣ / ٥٤٧ .
- ٢- تفسير القرآن العظيم ٣ / ٤٥٣ ، وراجع مفاتيح الغيب : ٥٨٧/٢ .
- ٣- تفسير القرآن العظيم : ٥٥١/٣ .

ومعظم آيات الأحكام الشرعية والأمر والنهي تنصدر بالتنبيه من ذلك قوله تعالى :
[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنْبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا] {النساء: ٤٣} قال الألوسي : تصدير الكلام بحرفي النداء والتنبيه اعتناء بشأن الحكم والمراد بالصلاة عند الكثير الهيئة المخصوصة وبقرבה القيام إليها (١) .

٢ – تنزيل القريب منزلة البعيد :

ويكاد أن يكون ذلك سمة عامة في نداء القرآن ، وذلك انه لم يستعمل من أدوات النداء إلا هذه الأداة ((يا)) وهي كما هو مشهور لنداء البعيد ، وقد استعملها القرآن في نداء القريب تنزيلا له منزلة البعيد لأسرار بيانية جليلة تشير إلى أهمها فيما يلي :
أ- التنبيه على عظمة الأمر وعلو شأنه وان مخاطب مع شدة حرصه على الامتثال كأنه غافل عنه (٢) .
وهذا هو الأكثر قصدا وظهورا في نداءات القرآن التكليفية بما فيها من أوامر ونواه .
ب- الحرص على إقبال المنادى حتى كأنه بعيد :
وهذا كثير في القصص ، في خطاب الله لأنبيائه أو خطاب الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام لأقوامها ولاسيما في مقام التبليغ كقوله : [يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ] {هود: ٥١} وقوله تعالى : [قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ] {هود: ٤٨} .

- ١- روح المعاني : ٣٨ / ٥ .
- ٢- شرح التلخيص : ١٧٢ .

وقوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام : [يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ] {البقرة: ١٣٢} .
(أي وصى بهذه الملة وهي الإسلام لله فأحسنوا في حال الدنيا وألزموا هذا ليرزقكم الله الوفاة عليه) (١) وقوله تعالى أيضا على :
لسان إبراهيم عليه السلام : ([فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى] {الصافات: ١٠٢})
ج - استقصار المتكلم نفسه كما في قول الداعي : ((ياالله)) ((يارب)) .
قال تعالى : [رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ] {الدخان: ١٢} .
وقوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام : [وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ] {البقرة: ١٢٦}
وقوله تعالى : [رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً] {البقرة: ١٢٨} وقوله تعالى : [وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ] {البقرة: ٢٥٠} وقوله تعالى : [رَبَّنَا لَا تَزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ] {آل عمران: ٨} .
وقوله تعالى : [رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ] {آل عمران: ٩} .
وقوله تعالى : [الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمِنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ] {آل عمران: ١٦} .
وقوله تعالى على لسان زكريا عليه السلام : [هَذَاكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ] {آل عمران: ٣٨} وقوله تعالى : [وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبَّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّنَا مُسْلِمِينَ] {الأعراف: ١٢٦} .
د- غفلة السامع كما في قوله تعالى : [يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ قُمْ لِلَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا] {المزمل: ١، ٢} .
فما كان النبي صلى الله عليه وسلم يدري شيئا من الكتاب والإيمان فضلا عن الدعوة والتبليغ فجاءه النداء بهذه الصيغة ، وكأنه بعيد لإعداد مزيد إعداد لما خوطب به ، وكلف به . وكذلك في قوله تعالى في سورة النمل .

- ١- تفسير القرآن العظيم ج ١ مع التصريف اليسير .
- [فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مِنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ] . يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ] {النمل: ٨} .
- ٩ ،
- فموسى عليه السلام كان قد سار بأهله من مصر وأنس نارا فلما ذهب إليها ناداه الله عز وجل وهو في غفلة من هذا النداء .

٣- التلطف والابتعاد عن صيغة التهديد والوعيد :

في قوله تعالى : [يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ] {المائدة: ١٩} ، نقل الطبري عن ابن عباس أنه قال : (قال معاذ بن جبل وسعد بن عباد وعقبة ابن وهب لليهود : يامعشر اليهود ، اتقوا الله ، فو الله إنكم لتعلمون أنه رسول الله ، لقد كنتم تذكرونه لنا قبل مبعثه وتصفونه لنا بصفته)^(١) . وفي قوله تعالى : [قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيُزِيدَنَ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ] {المائدة: ٦٨} .

نقل الطبري عن ابن عباس أن بعض اليهود قد جاءوا إلى رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) فقالوا : يامحمد الست تزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه ؟ فقال رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) : بلى ولكنكم أحدثتم وجدتم ما فيها مما أخذ عليكم من الميثاق ، وكنتم منها ما أمرتم أن تبينوه للناس ، وأنا بريء من إحداثكم ، قالوا فانا نأخذ بما في أيدينا ، فانا على الحق والهدى ولا نؤمن بك ولا نتبعك^(٢) ، ونقل الشيخ الطوسي ماقيل في دلالة قوله [لَسْتُ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ] {المائدة: ٦٨} قال : ((حتى تقيموها بالتصديق بما فيها من البشارة بالنبي (صلى الله عليه وسلم) والعمل ذلك))^(٣) فيهما^(٤) .

- ١- جامع البيان عن تأويل أي القرآن : ١٩٩/٦ ، ٢٠٠ .
- ٢- ينظر : جامع البيان عن تأويل أي القرآن : ٣٦٨/٦ .
- ٣- التبيان في تفسير القرآن ٥٩٠/٦ .

قال أبو السعود في قوله [حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ] : (أي تراعوهما وتحافظوا على ما فيها من الأمور التي جملتها دلائل رسالة الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) وشواهد نبوته ، فان أقامتها إنما تكون بذلك)^(١) . لقد ناداهم الله عز وجل بـ [يَا أَهْلَ الْكِتَابِ] ومن المعلوم أن الجملة الاسمية تدل على الثبوت والاستقرار^(٢) ، وسباق الآيات الكريمة في الأعم الأغلب جاء بصيغة الاستفهام الإنكاري ، وفي قوله تعالى : [لَمْ تَكْفُرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ] قال الشيخ الطوسي : (على وجه التلطف في استدعائهم إلى الحق)^(٣) فكان نداء الله جل شأنه في أغلب المواضع قد ابتعد عن صيغة التهديد والوعيد وإنما الدعوة إلى الإيمان بالرسول الكريم (صلى الله عليه واله وسلم) وعدم إنكار ما جاء في التوراة والإنجيل من البشارة بدينه قال تعالى : [يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ] {المائدة: ١٥} .

٤- التخويف والتقبيح :

عندما نادى جل شأنه المحرفين من اليهود الذين حرفوا الكتاب وبدلوه ناداهم بالصيغة الفعلية التي تدل على الحدوث والتجدد ولم ينادهم بالجملة الاسمية قال تعالى : [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ تَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا] {النساء: ٤٧} .

قال الزمخشري : (لأنهم إذا بدلوه ، ووضعوا مكانه كلما غيره فقد أمالوه عن مواضعه التي وضعه الله فيها وأزالوه عنها)^(٤) .

- ١- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ٢٩٩/٢ .
- ٢- ينظر : التعبير القرآني ، فاضل السامرائي : ٢٤ .
- ٣- التبيان في تفسير القرآن : ٥٣٨/٤ .
- ٤- الكشاف : ٤٥١/١ .

قال الشريف الرضي ((ت ٤٠٦ هـ)) في قوله تعالى : [أَنْ تَطْمِسَ وُجُوهًا] {النساء: ٤٧} في تلخيص البيان : (هي عبارة عن مسخ الوجوه أي يزيل تخطيطها ومعارفها تشبيها بالصحيفة المطموسة التي عميت سطورها وأشككت حروفها)^(١) ، قال الزمخشري في قوله تعالى : [أَنْ تَطْمِسَ وُجُوهًا] : (أي نمحو تخطيط صورها من عين وحاجب وانف وفم) وفي قوله ([فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا] {النساء: ٤٧}) ، قال : (فنجعلها على هيئة أدبارها وهي الاقفاء مطموسة مثلها)^(٢) . وفي صرف الكلام عن الخطاب إلى الغيبة قال الزمخشري : (ما فائدة صرف الكلام عن الخطاب إلى الغيبة ؟ قلت : المبالغة كأنه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ويستدعي منها الإنكار والتقبيح)^(٣) . وقال أبو السعود : (فعل السر في تخصيصهم بهذه العقوبة من بين العقوبات مراعاة المشاكلة بينهما وبين ما أوجبها من جنابتهم التي هي التحريف والتغير)^(٤) وقال الشوكاني في قوله : [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ] {النساء: ٤٧} : (ذكر سبحانه أولا أنهم أوتوا نصيبا من الكتاب ، وهنا ذكر أنهم أوتوا الكتاب ، والمراد أنهم أوتوا نصيبا منه ، لأنهم لم يعملوا بجميع ما فيه بل حرفوا وبدلوا)^(٥) .

- ١- تلخيص البيان في مجازات القرآن ، للشريف الرضي : ١٩ .
- ٢- الكشاف : ٤٥٢/١ .
- ٣- الكشاف : ٣٥٦/٢ .
- ٤- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ١٤٧/٢ .
- ٥- فتح القدير : ٦٠٠/١ .

٥- التفجع :

ومن ذلك قوله تعالى : [قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ] {القلم: ٣١} .
وقال تعالى : [وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا] {الفرقان: ٢٧، ٢٨} .
وقال في شأن آدم القاتل : [فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحِثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِي سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ] {المائدة: ٣١} .

٦- التحسر :

وهو الندامة واللهفة على الشيء ومنه قوله تعالى : [حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمُ السَّاعَةُ بَغْثَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَطْنَا فِيهَا] {الأنعام: ٣١} . يقول الطبري : (ياندامتنا على ماضيعنا فيها)^(١) .
وقال القيسي : (إنما نادى الحسرة ليتحسر بها من خالف الرسل وكفر بهم . والمراد بنداؤها تحسر المرسل إليهم فمعناها تعالى بالحسرة فان هذا أوانك وإيانك الذي يجب أن تحضري فيه ليتحسر بك من كفر بالرسول)^(٢) .
وقال تعالى :
[أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ] {الزمر: ٥٦} .
وقال تعالى : [يَا حَسْرَةَ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ] {يس: ٣٠} .
قال القيسي : (فالمراد بنداؤها تحسر المرسل إليهم بها)^(٣) .

١- جامع البيان ١٧٨/ ٧ .

٢- مشكل إعراب القرآن ٢٢٤ / ٢ .

٣- مشكل إعراب القرآن ٢٢٥/ ٢ .

٧- الدعاء :

واستعمال النداء بمعنى الدعاء كثير شائع في القرآن ، ويذكر فيه توجه العباد إلى بارئهم تبارك وتعالى .
وقد سبق ذكر حكمة لاختيار (يا) في الدعاء وهي استقصار الداعي نفسه من مقام الخطاب لرب الأرباب .
فالرسل عليهم السلام يتوجهون إلى بارئهم طالبين المغفرة والهداية لهم ولأقوامهم . ها هو آدم عليه السلام يتضرع إلى الله عز وجل طالبا منه المغفرة والرحمة : [رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ] {الأعراف: ٢٣} .
وها هو إبراهيم عليه السلام يبتهل إلى الله : [رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ] {البقرة: ١٢٦} وقول إبراهيم وإسماعيل : [رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ] {البقرة: ١٢٧} .
[رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ] {البقرة: ١٢٨} .
وها هو زكريا عليه السلام يدعو الله : [هَذَاكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ] {آل عمران: ٣٨} . وقوله تعالى على لسان موسى داعيا إياه : [قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي] {طه: ٢٥، ٢٦} .
وكذلك دعاء الرسول عليه السلام : [يَا رَبِّ إِنْ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا] {الفرقان: ٣٠} ودعاؤه عليه السلام : [وَقِيلَ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ] {الزخرف: ٨٨} . ومن دعاء الأنبياء عليهم السلام إلى دعاء المؤمنين ، فالمؤمنون يتوجهون بالدعاء : [أَمَّا الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِهِ وَكِتَابِهِ وَرُسُلِهِ لَا نَقْرُقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ] {البقرة: ٢٨٥} .
ومن ادعيتهم : [رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ] {آل عمران: ٨} ودعاؤهم : [رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ] {آل عمران: ٩} .
ولنستمع إلى دعاء مريم عليها السلام : [قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ] {آل عمران: ٤٧} .
ولنستمع إلى الفتية في الكهف وهم يدعون ربهم مبتهلين وطالبين الرحمة [رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا] {الكهف: ١٠} .
وقوله تعالى على لسان المؤمنين : [رَبَّنَا إِنَّا أَمْنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ] {آل عمران: ١٦} .
فكل هذه الأدعية تتوجه من المؤمنين والصالحين إلى الباري عز وجل تطلب منه المغفرة والرحمة والفوز .
وهناك بعض الأدعية حتى من غير المؤمنين : [وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ] {القصص: ٤٧} .
وقولهم [رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِبَّانًا يَعْبُدُونَ] {القصص: ٦٣} .
ولنستمع إلى دعاء الكافرين في النار : [وَهُمْ يَصْطَرِّخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ] {فاطر: ٣٧} .
ودعاؤهم : [رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبْرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا] {الأحزاب: ٦٧} .
[رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا] {الأحزاب: ٦٨} .

ودعا الكفار : [وَقَالُوا رَبَّنَا عَجَلْنَا لَنَا قِطْعًا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ] {ص:١٦} فقد طلب كفار مكة من الله عز وجل إن يعجل لهم كتاب أعمالهم (قبل يوم الحساب) قالوا ذلك استهزاء • ودعاء الكفار أيضا [قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ] {ص:٦١} فكل هذه الأدعية تتوجه من الرسل والمؤمنين والكافرين إلى الخالق عز وجل تسأله العطاء والغفران والرحمة والتوبة •

٨- الالتماس :

ومنه قوله تعالى على لسان يعقوب : [يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوْسُفَ وَآخِيهِ وَلَا تَيْسَسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ] {يوسف:٨٧} •

٩- التحبيب :

كما في خطاب الأنبياء لذويهم وبنو قومهم ، ومنه قوله تعالى على لسان إبراهيم يخاطب أباه : [يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا . يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا] {مريم:٤٣} • ومنه خطاب يوسف عليه السلام لأبيه : [إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ] {يوسف:٤} • وقوله : [يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ] {يوسف:١٠٠} • ومنه خطاب ابنتي النبي لوالدهما في شان موسى عليه السلام : [يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ] {القصص:٢٦} • وقوله في خطابه للرسول عليه الصلاة والسلام : [يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ] {الأنفال:٦٤} • وخطابه لإبراهيم عليه السلام : [وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ] {الصفّات:١٠٤} • ونداء التحبيب كذلك نلمسه في نداء الأنبياء لأقوامهم : [وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ ثَوَّبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ] {هود:٥٢} • وقوله تعالى : [وَالَّذِينَ آمَنُوا أَهْلًا لَهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ ثَوَّبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ] {هود:٦١} •

١٠- التحنن والعطف :

وهو كثير في النداء بـ [يَا عِبَادِي] • كقوله تعالى [يَا عِبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ] {الزمر:٥٣} • وقوله : [يَا عِبَادِي الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ] {العنكبوت:٥٦} • وقوله : [يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ] {الزخرف:٦٨} • يقول ابن كثير : (قال المعتمر بن سليمان عن أبيه : إذا كان يوم القيامة فان الناس حين يبعثون لا يبقى احد منهم ألا فزع فينادى مناد : [يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ] فيرجوها الناس كلهم ، قال : فيتبعها : [الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ] قال : فيياس الناس منها غير المؤمنين^(١)) •

١- تفسير القرآن العظيم ١٣٤/٤ •

١١- التعظيم والتبجيل :

كما في كثير من نداءات الله تعالى لأنبيائه ورسله ، كقوله تعالى : [يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ] {المؤمنون:٥١} قال الزركشي : (هذا خطاب للنبي (ص) وحده إذ لاني مع قبله ولا بعده)^(١) • وقوله تعالى : [يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ لَا يَحْزَنُكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ] {المائدة:٤١} • وقوله تعالى : [يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ] {المائدة:٦٧} • قال أبو السعود : (نودي عليه السلام بعنوان الرسالة تشريفا له وإيدانا بأنها من موجبات الإتيان بما أمر به من تبليغ ما وحي إليه ((بلغ ما أنزل إليك)) أي جميع ما أنزل إليك من الأحكام و ((من ربك)) ((أي مالك أمورك))^(٢)) •

١٢- التحدي والتعجيز :

كقوله تعالى : [يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّ اسْتِطْعَمْتُمْ أَنْ تُثَفُّدُوا مِنْ أَفْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ] {الرحمن:٣٣} • قال الرازي : (قوله : أن استطعتم : لبيان عجزهم وعظمة ملك الله فقال إن استطعتم أن تنفذوا باجتماعكم وقوتكم فانفذوا ولا تستطيعون لعجزكم فقد بان عند اجتماعكم واعتضادكم بعضهم ببعض فهو عند افتراقكم اظهر)^(٣) • وهذا التعجيز باق والتحدي مستمر إلى يوم الدين •

١- البرهان ٢٤٥/٤ ، والإتقان ٢/ ٣٣ •

٢- إرشاد العقل السليم ٦/ ٤ •

٣- مفاتيح الغيب ٨/ ٢٣ •

الخاتمة :

يتبين لنا مما سبق أن النداء قد احتل أهمية كبيرة في القرآن الكريم . وكان النداء القرآني يعتمد على أداة واحدة فقط في النداء وهي الأداة (يا) لأنها الأصل ، أما باقي الأدوات فتتبع لها وفروع .

ولاحظنا أنها كانت تثبت أحيانا مع المنادى وتارة أخرى تحذف ، وهي قوية كما بينا في إثباتها وحذفها ، وقد تفنن القرآن في أيراد ذلك ، وقد يرى النحاة أن حكمة الحذف أو الإثبات إنما هي لغرض أو هدف معين مقصود من ذلك الإثبات أو الحذف ، فمثلا جاء الحذف للدلالة على التعظيم والتتزيه أو الإيجاز . ومن الملاحظ أن أكثر منادى في القرآن الكريم (هو الله جل وعلا) وهذا شيء طبيعي . فجميع المخلوقات تتوجه إلى خالقها تسال العطاء والمغفرة ، فكان النداء لله عز وجل على لسان الرسل عليهم السلام والمؤمنين والأقوام السابقة والكافرين . والذي تبين لنا أن لفظ الجلالة (الله) لم يستعمل معه في الكتاب العزيز حرف نداء . والله عز وجل نادى المعارف والأعلام لما يترتب عليها من القيام بما أمرها الله أو نهاها عنه لذلك لانجد للانواع الباقية ذكرا في القرآن الكريم لأنه كما اشرنا كتاب هداية وتشريع قبل كل شيء ، فهو ينادي المكلفين بالأمر أو النهي . إننا نلمس بلاغة القرآن في مواقع النداء في مساحة السورة القرآنية فيقع النداء في السورة القرآنية موقع المنارة على طريق السالك . . . فهو يحدد الموضوع ويثير الانتباه وربما ليقع في بداية السورة القرآنية فمثلا يفتتح الله عز وجل سورة النساء بقوله : (يا أيها الناس) وكان المضمون يستدعي ذلك ، فالنداء أثار انتباهنا نحن الناس ماسينص من أحكام . . . وإذا بالأحكام التي تورد بها لاتتعلق ببيئة معينة ولا زمان محدد بل الأحكام تخص الناس جميعا في كل زمان ومكان ، وترتب على هذا المطلب أحكام تتعلق بالنساء والمواريث والحقوق الزوجية . وكذلك الأمر في سورة الحج لما يترتب على الحج من مناسك وأحكام لاتتخصص فئة معينة من الناس . . بل كل الناس وكل الحجيج فاستدعى هذا المضمون (نداء يا أيها الناس) فهناك علاقة وثيقة بين المضمون وبين النداء الذي يستدعيه هذا المضمون . يقول أبو السعود : (يا أيها الناس : خطاب ليعم حكمه المكلفين عند النزول ومن سينتظم في سلكهم بعد من الموجدن القاصرين عن رتبة التكليف ، والحادثين بعد ذلك الى يوم القيامة وان كان خطاب المشافهة مختصا للفريق الأول ، ولفظ الناس ينتظم الذكور والإناث حقيقة ، وإما صيغة جمع المذكر واردة على نهج التغليب . . والمأمور به مطلق التقوى الذي هو التجنب عن كل ما يؤثم من فعل وترك) (١) .

ومن الملاحظ أن أول نداء في القرآن الكريم (حسب ترتيبه لانزوله) هو نداء الناس في سورة البقرة : [يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ] {البقرة: ٢١} . وأول سورة مفتوحة في النداء هي سورة النساء وكان بندا : (يا أيها الناس) لان المضمون يستدعي ذلك .

والنداء الثاني :- هو نداء المؤمنين :- [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ] {المائدة: ١} . وهو نداء الإكرام وكان مضمون الآيات يستدعي نداءها بالإيمان وقد كرر نداءه فيها وحوت العدد الأكبر من ندائه أكثر من كل سور القرآن الكريم . يقول أبو السعود : (تصدير الخطاب بالنداء لتنبيه المخاطبين على أن ما في حيزه أمر خطير يستدعي مزيد اعتنائهم بشأنه وفرط اهتمامهم بتلقيه ومراعاته ووصفهم بالإيمان لتنشيطهم والإيذان بأنه داع إلى المحافظة عليه ووازع عن الإخلال به) (٢) . يتبين لنا أن المنادى في القرآن الكريم لم يأت جزافا ، أو دونما تنسيق وترتيب . بل القرآن الكريم هو كلام رب الأرباب أتى محكما في بديع صنعه وتسلسل نداءاته حيث يقع النداء موقع بيت القصيد . وان نظرة واحدة لسورة الأنفال نجد أن النداء يستدعي الموضوع وان العبر والمواظ فيها تنصدر دائما بنداء المؤمنين [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ] {الأنفال: ١٥} . ونداؤه كذلك في السورة نفسها : [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلُّوا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ] {الأنفال: ٢٠} . وقوله : [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَهُ خَشِيعُونَ] {الأنفال: ٢٤} . وقوله : [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ] {الأنفال: ٢٧} . وقوله تعالى : [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْحُونَ] {الأنفال: ٤٥} .

١- إرشاد العقل السليم ٧ / ١٠٩ .

٢- إرشاد العقل السليم ٧ / ٧٤٨ .

ونلاحظ من استعراضنا للنداءات كلها أنها دروس تربوية في الحرب والسلام والأخلاق وإطاعة الرسول عليه الصلاة والسلام . ووجدنا أن للنداء أهدافا بلاغية كثيرة غير الأهداف اللغوية كما رأينا فيخرج عن دائرة النداء تحقيق هذه الأهداف بالحسرة والتمني والويل والتأسف والتلهف والدعاء والتعريض بغباوة السامع والالتماس والتحبب والتعظيم والحنو والتعطف . إن من ينظر إلى أسلوب النداء في القرآن الكريم .. والى توزيع آيات النداء وتلوين المنادى في القرآن يدرك ولاشك عظمة الخالق المبدع ... ويدرك هذه الدقائق ... وان القلم البشري المحدود عاجز عن اكتشاف هذه الأسرار البلاغية ولا يستطيع التعبير عن كنه هذه الأسرار فضلا عن الإتيان بأسلوبها البديع أو بمثل تفنن القرآن وتصريفه المعجز لهذا الأسلوب الذي نراه أمرا عاديا في بادئ الرأي بل هو قرآن مجيد وحسبنا أنا وقفنا أمام هذا الخط من التعابير والبيان ... على الشاطئ نستمتع عن كثب ببعض هذا السحر النيان . وأخيرا نجد مناسبة جدا من أن نستأنس بقول ابن القيم :- تأمل خطاب القرآن تجد ملكا له الملك كله ، وله الحمد كله ، أزمنة الأمور كلها بيده ، ومصدرها منه وموردها إليه لاتتحفى عليه خافية ، عالما بما في نفوس عبده ، مطلعا على أسرارهم وعلانياتهم ، متفردا بتدبير المملكة ، يسمع ويرى ، ويعطي ويمنع ، ويفيد ويعاقب ، ويكرم ويهين ، يخلق ويرزق ، يحيي ويميت ، ويقدر ويقضي ويدبر الأمور نازلة من عنده دقيقتها وجليلها ، وصاعدة إليه لاتتحرك ذرة ألا بأذنه ، ولاتسقط ورقة إلا بعلمه ، ينصح عباده ويدلهم على ما

فيه سعادتهم وفلاحهم ويرغبهم فيه ويحذرهم مما فيه هلاكهم ٠٠ وتشهد من خطابه عتابه لأحبابه أطف عتاب ، وانه مع ذلك مقبل عثراتهم ، غافر زلاتهم ومقيم أعذارهم ومصلح فسادهم ... والمنجي من كل كرب فهو مولاهم فنعن المولى ونعم النصير^(١) .

١- كما نقل عنه السيوطي في الإتقان ٢/ ٣٥٠ .

المصادر

- القرآن الكريم

- ١- الإتقان في علوم القرآن / جلال الدين عبد الرحمن السيوطي / المكتبة الثقافية / بيروت / ١٩٧٣ .
- ٢- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم / أبو السعود العمادي / المطبعة الأزهرية / مصر / ط١/ ١٣٠٨ هـ .
- ٣- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، لابن هشام الأنصاري ، ت ٧٦١ هـ ، تأليف محمد محي الدين عبد الحميد ، ط١ ، ١٩٦٦ م .
- ٤- البرهان في علوم القرآن / بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي / دار المعرفة / بيروت / ط٢ غير مؤرخة .
- ٥- تأويل مشكل القرآن ، أبي محمد عبد الله بن مسلم الدينوري ، ت ٢٧٦ هـ ، شرحه ونشره احمد صقر ، المكتبة العلمية .
- ٦- التعبير القرآني ، فاضل السامرائي ، ساعدت جامعة بغداد على نشره ، جامعة بغداد بيت الحكمة .
- ٧- تفسير القرآن العظيم ، للإمام الحافظ اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ، ت ٧٧٤ هـ ، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة الصفا ، ط١ ، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م .
- ٨- تفسير النسفي المسمى مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، للإمام عبد الله بن احمد بن محمود النسفي ، ت ٧١٠ هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م .
- ٩- تلخيص البيان في مجازات القرآن ، الشريف الرضي ، وزارة الثقافة والارشاد الإسلامي ، ط١ ، ١٤٠٧ هـ .
- ١٠- جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، تفسير الطبري اللامع أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، ت ٣١٠ هـ ، ضبط وتعليق : محمود شاكر ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، تصحيح : علي عاشور ، ط١ ، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠١ م .
- ١١- الجامع لاحكام القرآن ، تفسير القرطبي لأبي عبد الله محمد بن احمد الانصاري ، ت ٦٧١ هـ ، تحقيق : إبراهيم محمد الجمل ، دار العلم للتراث ، القاهرة .
- ١٢- دراسات في اللسانيات العربية ، المشاكلة ، التنعيم ، رؤى تحليلية ، د . عبد الحميد السيد ، ط١ ، دار الحامد للنشر والتوزيع ، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م .
- ١٣- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، تأليف العلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي ، ت ١٢٧٠ هـ ، ضبطه وصححه : علي عبد الباري عطية ، منشورات دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م .
- ١٤- شرح اللمع ، ابن برهان العكبري أبو القاسم عبد الواحد بن علي الاسدي ، ت ٤٥٦ هـ ، تحقيق : فائز فارس ، ط١ ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م .
- ١٥- علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني ، بسيوني عبد الفتاح ، مؤسسة المختار ، القاهرة ، دار المعالم الثقافية ، الاحساء ، ط٢ ، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م .
- ١٦- الفاخر في شرح جمل عبد القاهر ، تأليف : محمد بن أبي الفتح البجلي ، ت ٧٠٩ هـ ، تحقيق : د . محمود محمد خسارة ، التراث العربي ، الكويت ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م .
- ١٧- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، تأليف : الامام محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، ت ١٢٥ هـ ، ضبطه وصححه : احمد عبد السلام ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م .
- ١٨- الفصول الخمسون لابن معط ، زين الدين أبي الحسين يحيى بن عبد المعطي المغربي ، ت ٦٢٨ هـ ، تحقيق ودراسة : محمد محمد الطناحي .
- ١٩- الكتاب ، لسبويه ، ت ١٨٠ هـ ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، ط٤ ، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م .
- ٢٠- الكتاب والقرآن ، د . محمد شحرور ، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع ، سوريا ، دمشق .
- ٢١- الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، تأليف : أبي القاسم جارا الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، شرحه وراجعته : يوسف الحمادي ، الناشر : مكتبة مصر .
- ٢٢- اللباب في علوم الكتاب ، عمر بن علي بن عادل الدمشقي ، ت بعد ٨٨٠ هـ ، تحقيق : الشيخ عادل احمد عبد الموجود ، الشيخ علي محمد معوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م .
- ٢٣- مجمع البيان في تفسير القرآن ، تأليف : أمين الإسلام أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي ، ت ٥٤٨ هـ ، حققه وعلق عليه لجنة من العلماء والمحققين الاخصائيين ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م .
- ٢٤- مشكل إعراب القرآن لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي ، ت ٤٣٧ هـ ، تحقيق : د . حاتم صالح الضامن ، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع ، ط١ ، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م .
- ٢٥- المعاني في ضوء أساليب القرآن ، د . مهدي عبد الفتاح لاشين ، دار المعارف ، ط٣ ، ١٩٧٨ م .

- ٢٦- معاني القرآن لابي جعفر النحاس ، ت٣٣٨هـ ، تحقيق : الشيخ محمد علي الصابوني ، المملكة العربية السعودية ، جامعة أم القرى ، ط١ ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .
- ٢٧- المفصل في علم العربية ، للزمخشري ت٥٣٨هـ ، وبذيله كتاب المفضل في شرح أبيات المفصل ، للسيد محمد بدر الدين ابي فراس الحلبي ، ط٢ ، دار الجيل .
- ٢٨- من بلاغة النظم القرآني ، بسيوني عبد الفتاح ، مطبعة الحسين الاسلامية ، ط١ ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م .
- ٢٩- الموسوعة القرآنية المتخصصة ، اشراف وتقديم : د . محمود حمدي زقزوق ، القاهرة ، المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م .
- ٣٠- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، للإمام برهان الدين ابي الحسن ابراهيم بن عمر البقاعي ، ت٨٨٥هـ ، خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه : عبد الرزاق غالب المهدي ، منشورات دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٢ ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .